الدر النضيد
في
إخلاص كلمة التوحيد

الشوكاني

297.31:Sh56dA

الشوكاني ، محمد بن علي .

الدر النضيد في اخلاص كلمة التوحيد .

297.31
Sh56dA

297.31
Sh56dA
c.1

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARY

كتاب

الدر النضيد

في

اخلاص كلمة التوحيد

تأليف

الامام العلامة محمد بن علي الشوكاني

طبع على نفقة عبد الهادي نجل الاستاذ الشيخ
محمد منير الدمشقي
من علماء الازهر

مكتبة العرب
لصاحبها
الشيخ يوسف توما المستاني
بشارع الفجالة
بمصر

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الاولى

نشرت في المجلد الثاني والعشرين من المنار

مطبعة المنار بمصر سنة ١٣٤٠ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمدك لا أحصي ثناء عليك أنت كما اثنيت على نفسك وأصلي وأسلم على رسولك وآل رسولك

وبعد فانه وصل الى الحقير الجاني ، محمد بن علي الشوكاني ، غفر الله له ذنوبه ، وستر عن عيون الناس عيوبه ، سؤال من عالم مفضال ، عارف بما قد قيل وما يقال ، في مدارك الحرام والحلال ، عند اختلاف الاقوال ، وتباين آراء الرجال ، وهو العلامة الفهامة الانجم ، محمد بن احمد بن محمد مشحم ، كثر الله فوائده ، ومد على أهل العلم موائده ، وحاصل السؤال هو عن التوسل بالاموات المشهورين بالفضل وكذلك الاحياء ، والاستغاثة بهم ومناجاتهم عند الحاجة ، من نحو : على الله وعليك يافلان وأنا بالله وبك وما يشابه ذلك . وتعظيم قبورهم واعتقاد ان لهم قدرة على قضاء حوائج المحتاجين ، وانجاح طلبات السائلين وما حكم من فعل شيئاً من ذلك ؟ وهل يجوز قصد قبور الصالحين لتأدية الزيارة ودعاء الله عندها من غير استغاثة بهم بل بالتوسل بهم فقط ؟ فأقول مستعينا بالله

اعلم ان الكلام على هذه الاطراف يتوقف على ايضاح ألفاظ هي منشأ الاختلاف والالتباس (فمنها) الاستغاثة بالغين المعجمة والمثلثة (ومنها) الاستعانة بالعين المهملة والنون (ومنها) التشفع ومنها (التوسل)

فأما الاستغاثة بالمعجمة والمثلثة فهو طلب الغوث وهو ازالة الشدة كالاستنصار وهو طلب النصر ولا خلاف انه يجوز ان يستغاث بالمخلوق فيما يقدر على الغوث فيه من الامور ولا يحتاج مثل ذلك الى استدلال فهو في غاية الوضوح ، وما اظنه يوجد فيه خلاف ، ومنه (فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه) وكما قال (وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر) وكما قال تعالى (وتعاونو على البر والتقوى) وأما ما لا يقدر عليه الا الله فلا يستغاث فيه الا به كغفران الذنوب والهداية وانزال المطر والرزق ونحو ذلك كما قال تعالى (ومن يغفر الذنوب الا الله ؟) وقال (انك لا تهدي من احببت ولكن

الله يهدي من يشاء) وقال (يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض) وعلى هذا يحمل ما أخرجه الطبراني في معجمه الكبير انه كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم منافق يؤذي المؤمنين فقال أبو بكر رضي الله عنه قوموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من هذا المنافق فقال صلى الله عليه وآله وسلم « انه لا يستغاث بي وانما يستغاث بالله » فمراده صلى الله عليه وآله وسلم انه لا يستغاث به فيما لا يقدر عليه الا الله ، وأما ما يقدر عليه المخلوق فلا مانع من ذلك مثل أن يستغيث المخلوق بالمخلوق ليعينه على حمل حجر أو يحول بينه وبين عدوه الكافر ، او يدفع عنه سبعا صائلا أو لصا او نحو ذلك . وقد ذكر أهل العلم انه يجب على كل مكلف ان يعلم ان لا غياث ولا مغيث على الاطلاق الا الله سبحانه ، وان كل غوث من عنده ، واذا حصل شيء من ذلك على يد غيره فالحقيقة له سبحانه ولغيره مجاز ، ومن اسمائه المغيث والغياث ، قال أبو عبدالله الحليمي الغياث هو المغيث . واكثر مايقال غياث المستغيثين ، ومعناه المدرك عباده في الشدائد اذا دعوه ومجيبهم ومخلصهم ، وفي خبر الاستسقاء في الصحيحين : اللهم اغثنا اللهم اغثنا اغاثة وغياثة وغوثا . وهو في معنى المجيب والمستجيب قال تعالى (اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم) الا ان الاغاثة أحق بالافعال ، والاستجابة بالاقوال ، وقد يقع كل منهما موقع الآخر قال شيخ الاسلام ابن تيمية في بعض فتاواه مالفظه : والاستغاثة بمعنى ان يطلب من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ماهو اللائق بمنصبه لا ينازع فيه مسلم ومن نازع في هذا المعنى فهو اما كافر واما مخطئ ضال ، وأما بالمعنى الذي نفاها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهو أيضاً مما يجب نفيها ومن اثبت لغير الله مالا يكون الا لله فهو أيضا كافر اذا قامت عليه الحجة التي يكفر تاركها . ومن هذا الباب قول أبي يزيد البسطامي: استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة الغريق بالغريق . وقول الشيخ أبي عبد الله القرشي: استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة المسجون بالمسجون .

وأما الاستعانة بالنون فهو طلب العون ، ولا خلاف انه يجوز ان يستعان بالمخلوق فيما يقدر عليه من أمور الدنيا كان يستعين به على ان يحمل معه متاعه او يعلف دابته أو يبلغ رسالته ، وأما مالا يقدر عليه الا الله جل جلاله فلا يستعان فيه الا به ومنه (اياك نعبد واياك نستعين)

وأما التشفع بالمخلوق فلا خلاف بين المسلمين انه يجوز طلب الشفاعة في المخلوقين فيما يقدرون عليه من أمور الدنيا ، وثبت بالسنة المتواترة واتفاق جميع الامة ان نبينا صلى الله عليه وآله وسلم هو الشافع المشفع وانه يشفع للخلائق يوم القيامة وان الناس يستشفعون به ويطلبون منه ان يشفع لهم الى ربه، ولم يقع الخلاف الافي كونها لمحو ذنوب المذنبين، أو لزيادة ثواب المطيعين؛ ولم يقل أحد من المسلمين بنفيها قط. ، وفي سنن أبي داود ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: انا نستشفع بالله عليك ونستشفع بك على الله. فقال «شأن الله أعظم من ذلك انه لا يستشفع به على أحد من خلقه » فأقره على قوله نستشفع بك على الله وانكر عليه قوله نستشفع بالله عليك وسيأتي تمام الكلام في الشفاعة

وأما التوسل الى الله سبحانه بأحد من خلقه في مطلب يطلبه العبد من ربه فقد قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: انه لا يجوز التوسل الى الله تعالى الا بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم ان صح الحديث فيه ولعله يشير الى الحديث الذي أخرجه النسائي في سننه والترمذي وصححه وابن ماجه وغيرهم ان أعمى أتى الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال يارسول الله اني اصبت في بصري فادع الله لي، فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم « توضأ وصل ركعتين ثم قل اللهم اني اسألك وأتوجه اليه بنبيك محمد يامحمد اني استشفع بك في رد بصري اللهم شفع النبي في » وقال « فان كان لك حاجة فمثل ذلك » فرد الله بصره .

وللناس في معنى هذا قولان (احدهما) ان التوسل هو الذي ذكره عمر ابن الخطاب لما قال كنا اذا اجدبنا نتوسل بنبينا اليك فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبينا . وهو في صحيح البخاري وغيره فقد ذكر عمر رضي الله عنه انهم كانوا يتوسلون بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم في حياته في الاستسقاء ثم توسل بعمه العباس بعد موته وتوسلهم هو استسقاؤهم بحيث يدعو ويدعون معه فيكون هو وسيلتهم الى الله تعالى ، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم كان في مثل هذا شافعا وداعيا لهم، (والقول الثاني) ان التوسل به صلى الله عليه وآله وسلم يكون في حياته وبعد موته وفي حضرته ومغيبه ولا يخفاك انه قد ثبت التوسل به صلى الله عليه وسلم في حياته وثبت التوسل بغيره بعد موته باجماع الصحابة اجماعا سكوتيا لعدم انكار أحد منهم على عمر رضي الله عنه في التوسل بالعباس رضي الله عنه ، وعندي انه لا وجه لتخصيص جواز التوسل بالنبي

صلى الله عليه وآله وسلم كما زعمه الشيخ عز الدين بن عبد السلام لامرين (الاول) ما عرفناك به من اجماع الصحابة رضي الله عنهم و(الثاني) ان التوسل الى الله بأهل الفضل والعلم هو في التحقيق توسل بأعمالهم الصالحة ومزاياهم الفاضلة اذ لا يكون الفاضل فاضلا الا بأعماله فاذا قال القائل: اللهم اني أتوسل اليك بالعالم الفلاني فهو باعتبار ما قام به من العلم وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما ان النبي صلى الله عليه وسلم حكى عن الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة ان كل واحد منهم توسل الى الله بأعظم عمل عمله فارتفعت الصخرة فلو كان التوسل بالاعمال الفاضلة غير جائز أو كان شركا كما يزعمه المتشددون في هذا الباب كان عبد السلام ومن قال بقوله من اتباعه لم تحصل الاجابة من الله لهم ولا سكت النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن انكار مافعلوه بعد حكايته عنهم ولهذا تعلم أن مايورده المانعون من التوسل الى الله بالانبياء والصلحاء من نحو قوله تعالى (مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) ونحو قوله تعالى (فلا تدعوا مع الله أحدا) ونحو قوله تعالى (له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء) ليس بوارد بل هو من الاستدلال على محل النزاع بما هو أجنبي عنه فان قولهم (مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) مصرح بأنهم عبدوهم لذلك، والمتوسل بالعالم مثلا لم يعبده بل علم ان له مزية عند الله بحمله العلم فتوسل به لذلك وكذلك قوله تعالى (فلا تدعوا مع الله أحدا) فانه نهى عن ان يدعى مع الله غيره كأن يقول يا الله ويا فلان والمتوسل بالعالم مثلا لم يدع الا الله وانما وقع منه التوسل اليه بعمل صالح عمله بعض عباده كما توسل الثلثة الذين انطبقت عليهم الصخرة بصالح اعمالهم (١) وكذلك قوله (والذين يدعون من دونه)

(١) المنار: ان الاستدلال بحديث الذين انطبقت عليهم الصخرة في غير محل النزاع وقد سها عنه عفى الله عنه وذلك ان هؤلاء توسلوا الى الله تعالى بأعمالهم الصالحة التي اخلصوا فيها له تعالى وذلك لا يدل على جواز توسل الانسان بعمل غيره من الصالحين فان عمل غيره لا ينفعه الا ان يكون من ولده الذي هو من عمله والاصل القطعي في هذا آيات القرآن الصريحة الكثيرة بأن الانسان لا يجزى الا بعمله وآيات النجم في ذلك نص على ان هذا دين جميع رسل الله تعالى: قال عز وجل (ام لم ينبأ بما في صحف موسى وابراهيم الذي وفى * ان لا تزر وازرة وزر أخرى * وان ليس للانسان الا ماسعى * وان سعيه سوف يرى * ثم يجزاه الجزاء الاوفى)

الآية فان هؤلاء دعوا من لا يستجيب لهم ولا يدعوا ربهم الذي يستجيب لهم ، والمتوسل بالعالم مثلا لم يدع الا الله ولم يدع غيره دونه ولا دعا غيره معه

فاذا عرفت هذا لم يخف عليك دفع ما يورده المانعون للتوسل من الادلة الخارجية عن محل النزاع خروجا زائدا على ما ذكرناه كاستدلالهم بقوله تعالى (وما ادراك ما يوم الدين ، ثم ما ادراك مايوم الدين ، يوم لاتملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله) فان هذه الآية الشريفة ليس فيها الا انه تعالى المنفرد بالامر في يوم الدين وانه ليس لغيره من الامر شيء والمتوسل بنبي من الانبياء او عالم من العلماء هو لا يعتقد ان لمن توسل به مشاركة الله جل جلاله في أمر يوم الدين ، ومن اعتقد هذا لعبد من العباد سواء كان نبيا أو غير نبي فهو في ضلال مبين، وهكذا الاستدلال على منع التوسل بقوله تعالى (ليس لك من الامر شيء قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضرا) فان هاتين الآيتين مصرحتان بأنه ليس لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أمر الله شيء ، وانه لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرا فكيف يملك لغيره ، وليس فيهما منع التوسل به او بغيره من الانبياء والاولياء أو العلماء ، وقد جعل الله لرسوله صلى الله عليه وسلم المقام المحمود مقام الشفاعة العظمى وارشد الخلق الى ان يسألوه ذلك ويطلبون منه وقال له « سل تعطه، واشفع تشفع » وقيد ذلك في كتابه العزيز بأن الشفاعة لا تكون الا باذنه ولا تكون الا لمن ارتضى ولعله يأتي تحقيق هذا المقام ان شاء الله تعالى

وهكذا الاستدلال على منع التوسل بقوله صلى الله عليه وآله وسلم لما نزل قوله تعالى (وانذر عشيرتك الاقربين) « يافلان بن فلان لا أملك لك من الله شيئا يافلانة بنت فلان لا أملك لك من الله شيئا » فان هذا ليس فيه الا التصريح بانه صلى الله عليه وآله وسلم لا يستطيع نفع من اراد الله تعالى ضره ، ولا ضر من اراد الله نفعه ، وانه لا يملك لاحد من قرابته فضلا عن غيرهم شيئا من الله ، وهذا معلوم لكل مسلم وليس فيه انه لا يتوسل به الى الله فان ذلك هو طلب الامر ممن له الامر والنهي وانما اراد الطالب ان يقدم بين يدي طلبته ما يكون سببا للاجابة (١) ممن هو المنفرد بالعطاء والمنع وهو مالك يوم الدين*

(١) ههنا محل الخلاف فان ثبت في الكتاب والسنة ان عمل بعض الناس سبب لاجابة غيرهم الى ما يطلبون من الله عزوجل تكون حجته صحيحة ولا=

واذا عرفت هذا فاعلم ان الرزية كل الرزية والبلية كل البلية أمر غير ما ذكرنا من التوسل المجرد والتشفع بمن له الشفاعة وذلك ما صار يعتقده كثير من العوام وبعض الخواص في أهل القبور وفي المعروفين بالصلاح من الاحياء من انهم يقدرون على مالا يقدر عليه الا الله جل جلاله ويفعلون مالا يفعله الا الله عزوجل حتى نطقت ألسنتهم بما انطوت عليه قلوبهم ، فصاروا يدعونهم تارة مع الله وتارة استقلالا ويصرخون باسمائهم ويعظمونهم تعظيم من يملك الضر والنفع ويخضعون لهم خضوعاً زائدا على خضوعهم عند وقوفهم بين يدي ربهم في الصلاة والدعاء وهذا اذا لم يكن شركا فلا ندري ماهو الشرك واذا لم يكن كفرا فليس في الدنيا كفر وهانحن (اولاء) نقص عليك أدلة في كتاب الله سبحانه وفي سنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فيها المنع مما هو دون هذا بمراحل وفي بعضها التصريح بأنه شرك وهو بالنسبة الى هذا الذي ذكرناه يسير حقير ثم بعد ذلك نعود الى الكلام على مسألة السؤال *

فمن ذلك ما أخرجه احمد في مسنده باسناد لا بأس به عن عمران بن حصين ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم رأى رجلا بيده حلقة من صفر فقال «ماهذه؟ — قال من الواهنة — قال انزعها فانها لا تزيدك الا وهنا ولو مت وهي عليك ما أفلحت » واخرج أيضا عن عقبة بن عامر مرفوعا « من علق تميمة فلا أتم الله له ومن علق ودعة فلا ودع الله له » وفي رواية « من علق تميمة فقد اشرك » ولابن أبي حاتم عن حذيفة انه رأى رجلا في يده خيط للحمى فقطعه وقرأ (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) وفي الصحيح عن أبي بشير الانصاري انه كان مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في بعض اسفاره فارسل رسولا « ان لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر الا قطعت » واخرج احمد وأبو داود عن ابن مسعود: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول « ان الرقى والتمائم والتولة شرك » واخرج أحمد والترمذي عن عبد الله بن حكيم مرفوعا « من تعلق شيئا وكل اليه » واخرج احمد عن رويفع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يارويفع لعل الحياة ستطول بك فاخبر الناس

= نص في الكتاب ولا السنة على هذا بل على خلافه كما سبق في الحاشية التي قبل هذه ، وأثر الاستسقاء بالعباس (رض) لا يخالف تلك الآيات فانه عبارة عن طلب الدعاء للناس في عبادة مشروعة يشاركونه فيها بالصلاة والتأمين على دعائه

ان من عقد لحيته او تقلد وترا او استنجى برجيع دابة او عظم فان محمدا بريء منه » فانظر كيف جعل الرقى والتمائم والتولة شركا ، وما ذلك الا لكونها مظنة لان يصحبها اعتقاد أن لغير الله تأثيراً في الشفاء من الداء ، وفي المحبة والبغضاء ، فكيف بمن نادى غير الله وطلب منه مالا يطلب الا من الله ، واعتقد استقلاله بالتأثير أو اشتراكه مع الله عزوجل ؟

ومن ذلك ما أخرجه الترمذي وصححه عن ابن واقد الليثي قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حنين ونحن حديثو عهد بكفر وللمشركين سدرة يعكفون عليها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات انواط فقلنا اجعل لنا ذات انواط كما لهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم « الله أكبر قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو اسرائيل (اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون) لتركبن سنن من كان قبلكم » فهؤلاء انما طلبوا ان يجعل لهم شجرة ينوطون بها أسلحتهم كما كانت الجاهلية تفعل ذلك ولم يكن من قصدهم ان يعبدوا تلك الشجرة او يطلبوا منها ما يطلبه القبوريون من أهل القبور فأخبرهم صلى الله عليه وآله وسلم ان ذلك بمنزلة الشرك الصريح وانه بمنزلة طلب آلهة غير الله تعالى

ومن ذلك ما أخرجه مسلم في صحيحه عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال حدثني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأربعة كلمات « لعن الله من ذبح لغير الله لعن الله من لعن والديه لعن الله من آوى محدثا لعن الله من غير منار الارض » واخرج احمد عن طارق بن شهاب ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال « دخل رجل الجنة في ذباب ودخل النار رجل في ذباب — قالوا كيف ذلك يارسول الله — (صلى الله عليه وآله وسلم) قال « مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه أحد حتى يقرب اليه شيئا فقالوا لاحدهم قرب ولو ذباباً فقرب ذباباً فخلوا سبيله فدخل النار ، وقالوا للآخر قرب فقال ما كنت أقرب لاحد غير الله عزوجل فضربوا عنقه فدخل الجنة » فانظر لعنه صلى الله عليه وآله وسلم لمن ذبح لغير الله واخباره بدخول من قرب لغير الله النار ، وليس في ذلك الا مجرد كون ذلك مظنة للتعظيم الذي لا ينبغي الا لله فما ظنك بما كان شركا بحتا . قال بعض أهل العلم ان اراقة دماء الانعام عبادة لانها اما هدي او أضحية او نسك وكذلك ما يذبح للبيع لانه مكسب حلال فهو عبادة . ويتحصل من ذلك شكل قطعي هو ان اراقت دماء الانعام عبادة وكل عبادة لا تكون الا لله فاراقة

دماء الانعام لا تكون الا لله ، ودليل الكبرى (١) قوله تعالى (اعبدوا الله مالكم من اله غيره) — (واياي فاعبدون) و (اياك نعبد — وقضى ربك ان لاتعبدوا الا اياه — وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين)

ومن ذلك انه صلى الله عليه وسلم نهى عن الحلف بغير الله وقال « من حلف فليحلف بالله أو ليصمت » وقال «من حلف بملة غير الاسلام لم يرجع الى الاسلام سالما »أو كما قال ، وسمع رجلا يحلف باللات والعزى فأمره ان يقول لااله الا الله ، واخرج الترمذي وحسنه والحاكم وصححه من حديث عمر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال « من حلف بغير الله فقد اشرك » وهذه الاحاديث في دواوين الاسلام وفيها ان الحلف بغير الله يخرج به الحالف عن الاسلام وذلك لكون الحلف بشيء مظنة تعظيمه فكيف بما كان شركا محضا يتضمن التسوية بين الخالق والمخلوق في طلب النفع او استدفاع الضر ، وقد يتضمن تعظيم المخلوق زيادة على تعظيم الخالق كما يفعله كثير من المخذولين فانهم يعتقدون ان لاهل القبور من جلب النفع ودفع الضر ماليس لله ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا

فان انكرت هذا فانظر أحوال كثير من هؤلاء المخذولين فانك تجدهم كما وصف الله سبحانه (واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لايؤمنون بالآخرة، واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون)

ومن ذلك ماثبت في الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم عند موته انه كان يقول « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد » يحذر ماصنعوا (٢) واخرج مسلم عن جندب بن عبدالله انه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول « ان من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور انبيائهم مساجد فلا تتخذوا القبور مساجد ، اني انهاكم عن ذلك » واخرج أحمد بسند جيد وأبو حاتم في صحيحه عن ابن مسعود مرفوعاً « ان من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد » والاحاديث في هذا الباب كثيرة وفيها التصريح بلعن من اتخذ القبور مساجد مع انه لايعبد الا الله وذلك لقطع ذريعة الشريك، ودفع وسيلة التعظيم ، وورد مايدل على ان عبادة الله عند القبور بمنزلة اتخاذها

(١) اي الكبرى من شكل القياس المنطقي الذي استدل به وهي قوله : وكل عبادة لاتكون الالله. (٢) «يحذر ماصنعوا »من كلام عائشة راوية الحديث اي لعنهم تحذيرا للمسلمين ان يصنعوا مثلهم

ا وثانياً تعبد، اخرج مالك في الموطأ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اللهم لاتجعل قبري وثنا يعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» وبالغ في ذلك حتى لعن زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج ، ولعل وجه تخصيص النساء بذلك لما في طبائعهن من النقص المفضي الى الاعتقاد والتعظيم بأدنى شبهة، ولاشك ان علة النهي عن جعل القبور مساجد وعن تسريجها وتجصيصها (١) ورفعها وزخرفتها هي ماينشأ عن ذلك من الاعتقادات الفاسدة كما ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها ان أم سلمة ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كنيسة رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور فقال « أولئك اذا مات فيهم الرجل — أو العبد — الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله » ولابن خزيمة عن مجاهد (أفرأيتم اللات والعزى) قال كان يلت له السويق فمات فعكفوا على قبره ، وكل عاقل يعلم ان لزيادة الزخرفة للقبور واسبال الستور الرائعة عليها وتسريجها والتأنق في تحسينها تأثيرا في طبائع غالب العوام ينشأ عنه التعظيم والاعتقادات الباطلة وهكذا اذا استعظمت نفوسهم شيئا مما يتعلق بالاحياء وبهذا السبب اعتقد كثير من الطوائف الالهية في اشخاص كثير

ورأيت في بعض كتب التاريخ انه قدم رسول لبعض الملوك على بعض خلفاء بني العباس فبالغ الخليفة في التهويل على ذلك الرسول وما زال اعوانه ينقلونه من رتبة الى رتبة حتى وصل الى المجلس الذي يقعد الخليفة في برج من ابراجه وقد جمل ذلك المنزل بأبهى الآيات وقعد فيه أبناء الخلفاء وأعيان الكبراء، وأشرف الخليفة من ذلك البرج وقد انخلع قلب ذلك الرسول مما رأى فلما وقعت عيناه على الخليفة قال لمن هو قابض على يده من الامراء : أهذا الله ؟ فقال ذلك الامير بل هو خليفة الله . فانظر ماصنع ذلك التحسين بقلب هذا المسكين ، وروي لنا ان بعض أهل جهات القبلة وصل الى القبة الموضوعة على قبر الامام أحمد بن الحسين صاحب ذي بين رحمه الله فرآها وهي مسرجة بالشمع والبخور ينفح في

(١) جعل القبور مساجد كثير في مصر حتى يقل ان يوجد مسجد ليس مبنيا على غير قبر ، وتسريجها وضع السرج أو المصابيح عليها اوعندها ومثلها الشمع ،وتجصيصها بناؤها بالجص وانما نهي النبي (ص) عن ذلك ولمن فاعليه لانه من أعمال الشرك او ذرائعه على الاقل

جوانبها وعلى القبر الستور الفائقة فقال عنـد وصوله الى الباب امسيت بالخير يا أرحم الراحمين

وفي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى (ولا تذرن الهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا * ولا يغوث ويعوق ونسرا) قال هـذه اسماء رجال من قوم نوح لما هلكوا اوحى الشيطان الى قومهم ان انصبوا الى مجالسهم التي كانوا يجلسون عليها انصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم يعبدوا حتى اذا هلك أولئك ونسي العلم عبدت ، وقال غير واحد من السلف لما ماتوا عكفوا على قبورهم

ومن ذلك ما أخرجه احمد باسناد جيد عن قبيصة عن أبيه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ان العيافة والطرق والطيرة من الجبت » (١) واخرجه أبو داود والنسائي وابن حبان أيضاً ، واخرج أبو داود بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر » واخرج النسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه « من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر ومن سحر فقد أشرك ومن تعلق شيئاً وكل اليه » وهذه الامور كلها كانت من الجبت والشرك لانها مظنة للتعظيم الجالب للاعتقاد الفاسد

ومن ذلك ما أخرجه أهل السنن والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « من أتى كاهنا او عرافا فقد كفر بما أنزل على محمد » واخرج أبو يعلى بسند جيد مرفوعا « من أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد » واخرج نحوه الطبراني من حديث ابن عباس بسند حسن ، والعلة الموجبة للحكم بالكفر ليست الاعتقاد انه مشارك لله تعالى في علم الغيب مع انه في الغالب يقع غير مصحوب بهذا الاعتقاد ولـكن من حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه . ومن ذلك ما في الصحيحين وغيرهما عن زيد بن خالد قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وآله

(١) الجبت اسم جامع للخرافات كلها ومنها العيافة وهي التشاؤم أو التفاؤل من الالفاظ والطرق بالحصى أو الودع أو حب الفول لمعرفة البخت ومثله الرمل والطيرة التشاؤم او التفاؤل بالطير وحركاته واسمه

وسلم صلاة الصبح على اثر سماء (١) من الليل ـ فلما انصرف اقبل على الناس بوجهه الشريف فقال « هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم « ـ قال اصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي وكافر بالكواكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي ومؤمن بالكواكب » ولا يخفى على عارف أن العلة في الحكم بالكفر هي مافي ذلك من ايهام المشاركة وأين هذا ممن يصرخ في دعائه عند (٢) ان يمسه الضر بقوله : يا الله ويا فلان وعلى الله وعلى فلان ؟ فان هذا يعبد ربين ويدعو اثنين وأما من قال مطرنا بنوء كذا فهو لم يقل امطره ذلك النوء بل قال امطر به وبين الامرين فرق ظاهر

ومن ذلك ما أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « يقول الله عزوجل : أنا اغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا اشرك معي فيه غيري تركته وشركه » واخرج أحمد (٣) عن أبي سعيد مرفوعا « الا أخبركم بما هو اخوف عليكم من المسيح الدجال ؟ ـ قالوا بلى قال ـ الشرك الخفي يقوم الرجل فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل » ومن ذلك قوله تعالى (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) فاذا كان مجرد الرياء الذي هو فعل الطاعة لله عز وجل مع محبته ان يطلع عليها غيره او يثني عليه بها او يستحسنها شركا فكيف بما هو محض الشرك

ومن ذلك ما أخرجه النسائي أن يهوديا أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : تقولون ما شاء الله وشئت وتقولون والكعبة فأمرهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان يقولوا : ورب الكعبة وان يقولوا ما شاء الله ثم ما شئت ، وأخرج النسائي أيضا عن ابن عباس مرفوعا ان رجلا قال : ما شاء الله وشئت . قال « أجعلتني لله ندا ؟ قل ما شاء الله وحده » وأخرج ابن ماجه عن الطفيل قال رأيت كأني أتيت على نفر من اليهود فقلت انكم لانتم القوم لولا انكم تقولون عزير ابن الله قالوا وأنتم القوم لولا انكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد . ثم مررت بنفر من النصارى فقلت انكم لانتم القوم

(١) اي بعد وقوع مطر (٢) ترك هنا في الاصل بياض قليل والظاهر ان الاصل « عند قبور الصالحين بعد أو خيفة » (٣) رواه ابن ماجه والبيهقي أيضاً

لولا انكم تقولون المسيح ابن الله ، وقالوا وأنتم لانتم القوم لولا انكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد — فلما أصبحت وأخبرت بها من أخبرت ثم أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته قال « فهل أخبرت بها أحدا ؟ — قال نعم قال فحمد الله وأثنى عليه ثم قال « اما بعد ان طفيلا رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منكم وانكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا ان أنهاكم فلا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد ولكن قولوا ما شاء الله وحده » (١) والوارد في هذا الباب كثير وفيه ان التشريك في المشيئة بين الله ورسوله أوغيره من عبيده فيه نوع من الشرك ولهذا جعل ذلك في هذا المقام الصالح كشرك اليهود والنصارى باثبات ابن لله عز وجل وفي تلك الرواية السابقة انه اثبات ند لله عز وجل

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم لمن قال : من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى « بئس خطيب القوم انت » وهو في الصحيح وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنه في تفسير قوله تعالى (فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون) انه قال الانداد أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل وهو ان يقول والله وحياتك يافلان وحياتي ويقول لولا كلبه هذا لاتانا ولولا بط في الدار لاتى اللصوص وقول الرجل لصاحبه ماشاء الله وشئت وقول الرجل لولا الله وفلان هذا كله شرك . ومن ذلك ماثبت في الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال « لايقل أحدكم أطعم ربك وأرض ربك ولايقل أحدكم عبدي وامتي وليقل فتاي وفتاتي وغلامي (٢)» ووجه هذا النهي مايفهم من مخاطبة السيد بمخاطبة العبد لربه ، والرب لعبده وان لم يكن ذلك مقصوداً ومن ذلك ما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله

---

(١) طفيل هو ابن سخبرة أخو عائشة لامها وقد عزاه في الدر المنثور الى أحمد وابن ماجه والبيهقي وفيه « كان يمنعني الحياء منكم » محل كذا وكذا وفي آخره زيادة « وحده لاشريك له » والحديث ضعيف

(٢) الحديث وارد في تكريم الرقيق ولفظ البخاري الذي اختاره المصنف وحرفه الناسخ « لايقل أحدكم أطعم ربك وضئ ربك اسق ربك ، وليقل سيدي ومولاي ، ولا يقل أحدكم عبدي أمتي ، ولكن فتاي وفتاتي وغلامي »

صلى الله عليه وآله وسلم « قال الله تعالى : ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة ، وليخلقوا حبة وشعيرة » ولهما عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يضاهئون خلق الله » ولهما عن ابن عباس رضي الله عنهما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول « كل مصور في النار يجعل له بكل صورة صورها نفسا يعذب بها في جهنم » ولهما عنه مرفوعاً « من صور صورة في الدنيا كلف أن ينفخ فيه الروح وليس بنافخ » واخرج مسلم عن أبي الهياج الاسيدي قال : قال لي علي الا ابعثك على مابعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ الا تدع صورة الا طمستها ولا قبرا مشرفا الا سويته (١)

فانظر الى مافي هذه الاحاديث من الوعيد الشديد للمصورين لكونهم فعلوا فعلا يشبه فعل الخالق وان لم يكن ذلك مقصودا لهم ، وهؤلاء القبوريون قد جعلوا بعض خلق الله شريكا له ومثلا وندا فاستغاثوا به فيما لايستغاث فيه الا بالله وطلبوا منه مالا يطلب الامن الله مع القصد والارادة

ومن ذلك ما أخرجه النسائي بسند جيد عن عبد الله بن الشخير قال : انطلقت في وفد بني عامر الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقلنا : انت سيدنا ، قال « السيد الله تبارك وتعالى — قلنا وافضلنا واعظمنا طولا قال — قولوا بقولكم أو بعض قولكم ولا يستجرنكم الشيطان - وفي رواية - لايستهوينكم الشيطان ، أنا محمد عبدالله ورسوله ما أحب ان ترفعوني فوق منزلتي التي انزلني الله عزوجل »

وبالجملة فالوارد عن الشرع من الادلة الدالة على قطع ذرائع الشرك وهدم كل شيء يوصل اليه في غاية الكثرة ولو رمت حصر ذلك على التمام لجاء في مؤلف بسيط فلنقتصر على هذا المقدار ونتكلم على حكم مايفعله القبوريون من الاستغاثة بالاموات ، ومناداتهم لقضاء الحاجات ، وتشريكهم مع الله في بعض الحالات ، وافرادهم بذلك في بعضها فنقول - :

أعلم ان الله لم يبعث رسوله ولم ينزل كتبه لتعريف خلقه بأنه الخالق لهم

(١) ذكر الامام الشافعي رحمه الله تعالى في الام ونقله عنه النووي في شرح مسلم انه رأى الائمة بمكة يهدمون ماشيد من القبور ويسوونها بالارض عملا بهذا الحديث فليعتبر الذين يدعون اتباع مذهبه

والرزاق لهم ونحو ذلك فان هذا يقر به كل مشرك قبل بعثة الرسول (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله * ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم * قل من يرزقكم من السماء والارض ، أمن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر ؟ فسيقولون لله فقل أفلا تتقون * قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون * سيقولون الله (١) قل أفلا تذكرون * قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم * سيقولون الله قل أفلا تتقون * قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون * سيقولون الله قل فأنى تسحرون) ولهذا تجد كل ما ورد في الكتاب العزيز في شأن خالق الخلق ونحوه في مخاطبة الكفار معنونا باستفهام التقرير (هل من خالق غير الله ؟ افي الله شك فاطر السموات والارض ؟ اغير الله أتخذ وليا فاطر السموات والارض ؟ أروني ماذا خلق الذين من دونه ؟) بل بعث الله رسله وأنزل كتبه لاخلاص توحيده وافراده بالعبادة (ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره * الا تعبدوا الا الله * ان اعبدوا الله واتقوه وأطيعون * قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا ؟ ان اعبدوا الله مالكم من اله غيره * واياي فاعبدون) واخلاص التوحيد لا يتم الا بأن يكون الدعاء كله لله والنداء والاستغاثة والرجاء واستجلاب الخير واستدفاع الشر له ومنه لا لغيره ولا من غيره (فلا تدعوا مع الله أحدا * له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء - وعلى الله فليتوكل المؤمنون * وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين) وقد تقرر ان شرك المشركين الذين بعث الله اليهم خاتم رسله صلى الله عليهم وسلم لم يكن الا باعتقادهم ان الانداد التي اتخذوها تنفعهم وتضرهم وتقربهم الى الله وتشفع لهم عنده مع اعترافهم بأن الله سبحانه هو خالقها وخالقهم ورازقها ورازقهم ومحييها ومحييهم ومميتها ومميتهم (ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى * فلا تجعلوا لله اندادا وأنتم تعلمون * ان كنا لفي ضلال مبين * اذ نسويكم برب العالمين * وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون * هؤلاء شفعاؤنا عند الله) وكانوا يقولون في تلبيتهم ، لبيك لا شريك لك ، الا شريكا هو لك ، تملكه وما ملك .

(١) (سيقولون الله) قراءة سبعية وقراءة حفص التي عليها مصاحفنا (سيقولون لله) والقراءتان سواء هذه في الآيات كلها

واذا تقرر هذا فلا شك ان من اعتقد في ميت من الاموات اوحي من الاحياء انه يضره او ينفعه اما استقلالا او مع الله تعالى او ناداه أو توجه اليه او استغاث به في أمر من الامور التي لا يقدر عليها المخلوق فلم يخلص التوحيد لله ولا افرده بالعبادة ـ اذ الدعاء بطلب وصول الخير اليه ودفع الضر عنه هو نوع من أنواع العبادة ـ ولا فرق بين ان يكون هذا المدعو من دون الله او معه حجرا أوشجراً او ملكا او شيطانا كما كان يفعل ذلك الجاهلية ، وبين ان يكون انسانا من الاحياء أو الاموات كما يفعله الآن كثير من المسلمين ، وكل عالم يعلم هذا أويقر به فان العلة واحدة وعبادة غير الله تعالى وتشريك غيره معه يكون للحيوان كما يكون للجماد ، وللحي كما يكون للميت ، فمن زعم ان ثم فرقا بين من اعتقد في وثن من الاوثان انه يضر او ينفع وبين من اعتقد في ميت من بني آدم انه يضر او ينفع أو يقدر على أمر لا يقدر عليه الا الله تعالى فقد غلط غلطا بينا واقر على نفسه بجهل كثير ، فان الشرك هو دعاء غير الله في الاشياء التي تختص به أواعتقاد القدرة لغيره فيما لا يقدر عليه سواه، أوالتقرب الى غيره بشيء مما لا يتقرب به الا اليه، ومجرد تسمية المشركين لما جعلوه شريكا بالصنم والوثن والا له لغير الله زيادة على التسمية بالولي والقبر والمشهد كما يفعله كثير من المسلمين بل الحكم واحد اذا حصل لمن يعتقد في الولي والقبر ما كان يحصل لمن كان يعتقد في الصنم والوثن اذ ليس الشرك هو مجرد اطلاق بعض الاسماء على بعض المسميات بل الشرك هو ان يفعل لغير الله شيئا يختص به سبحانه سواء أطلق على ذلك الغير ما كان تطلقه عليه الجاهلية أو اطلق عليه اسما آخر فلا اعتبار بالاسم قط ومن لم يعرف هذا فهو جاهل لا يستحق ان يخاطب بما يخاطب به أهل العلم ، وقد علم كل عالم ان عبادة الكفار للاصنام لم تكن الا بتعظيمها واعتقاد انها تضر وتنفع والاستغاثة بها عند الحاجة والتقرب لها في بعض الحالات بجزء من أموالهم وهذا كله قد وقع من المعتقدين في القبور فانهم قد عظموها الى حد لا يكون الا لله سبحانه بل ربما يترك العاصي منهم فعل المعصية اذا كان في مشهد من يعتقده أو قريبا منه مخافة تعجيل العقوبة من ذلك الميت، وربما لا يتركها اذا كان في حرم الله أوفي مسجد من المساجد أو قريبا من ذلك، وربما حلف بعض غلاتهم بالله كاذبا ولم يحلف بالميت الذي يعتقده

وأما اعتقادهم انها تضر وتنفع فلولا اشتمال ضمائرهم على هذا الاعتقاد لم يدع أحد منهم ميتا أو حيا عند استجلابه لنفع واستدفاعه لضر قائلا يافلان افعل لي كذا وكذا وعلى الله وعليك وأنا بالله وبك

وأما التقرب للاموات فانظر ماذا يجعلونه من النذور لهم وعلى قبورهم في كثير من المحلات، ولو طلب الواحد منهم ليسمح بجزء من ذلك لله تعالى لم يفعل، وهذا معلوم يعرفه من عرف أحوال هؤلاء

(فان قلت) ان هؤلاء القبوريين يعتقدون ان الله تعالى هو الضار النافع والخير والشر بيده ، وان استغاثوا بالاموات قصدوا انجاز ما يطلبونه من الله سبحانه (قلت) وهكذا كانت الجاهلية فانهم كانوا يعلمون ان الله هو الضار النافع وان الخير والشر بيده وانما عبدوا أصنامهم لتقربهم الى الله زلفى كما حكاه الله عنهم في كتابه العزيز ، نعم اذا لم يحصل من المسلم الا مجرد التوسل الذي قدمنا تحقيقه فهو كما ذكرناه سابقاً ولكن من زعم انه لم يقع منه الا مجرد التوسل وهو يعتقد من تعظيم ذلك الميت مالا يجوز اعتقاده في أحد من المخلوقين وزاد على مجرد الاعتقاد فتقرب الى الاموات بالذبائح والنذور وناداهم مستغيثا بهم عند الحاجة فهذا كاذب في دعواه انه متوسل فقط فلو كان الامر كما زعمه لم يقع منه شيء من ذلك والمتوسل به لايحتاج الى رشوة بنذر او ذبح ولا تعظيم ولا اعتقاد لان المدعو هو الله سبحانه وهو أيضاً المجيب ولا تاثير لمن وقع به التوسل قط بل هو بمنزلة التوسل بالعمل الصالح فأي جدوى في رشوة من قد صار تحت اطباق الثرى بشيء من ذلك ؟ وهل هذا الا فعل من يعتقد التأثير اشتراكا واستقلالا ؟ ولا اعدل من شهادة افعال جوارح الانسان على بطلان ماينطق به لسانه من الدعاوي الباطلة العاطلة ، بل من زعم انه لم يحصل منه الا مجرد التوسل وهو يقول بلسانه يافلان مناديا لمن يعتقده من الاموات فهو كاذب على نفسه ومن انكر حصول النداء للاموات والاستغاثة بهم استقلالا فليخبرنا ما معنى مانسمعه في الاقطار اليمنية من قولهم يابن العجيل يازيلعي! يا ابن علوان !يافلان يافلان(١) وهل ينكر هذا منكر ويشك فيه شاك؟ وما عدا ديار اليمن فالامر فيها أطم وأعم ، ففي كل قرية ميت يعتقده أهلها

(١) ومثل هذا مايسمعه كل أحد عند القبور المشيدة في الديار المصرية : ياسيد ، يابدوي ، يادسوقي ، يابيومي ، يامتبولي الخ

وينادونه في كل مدينة جماعة منهم حتى انهم في حرم الله ينادون يابن عباس! يامحجوب ! فما ظنك بغير ذلك فلقد تلطف ابليس وجنوده أخزاهم الله تعالى لغالب أهل الملة الاسلامية بلطفة تزلزل الاقدام عن الاسلام فانا الله وانا اليه راجعون

أين من يعقل معنى (ان الذين تدعون من دونه الله عباد أمثالكم — فلا تدعوا مع الله أحدا ـ له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لايستجيبون لهم بشيء) وقد اخبرنا الله سبحانه ان الدعاء عبادة في محكم كتابه بقوله تعالى (ادعوني استجب لكم ، ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) واخرج أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح من حديث النعمان بن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « ان الدعاء هو العبادة » وفي رواية « مخ العبادة » ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الاية المذكورة ، واخرج أيضاً النسائي وابن ماجه والحاكم واحمد وابن أبي شيبة باللفظ المذكور

وكذلك النحر للاموات عبادة لهم والنذر لهم بجزء من المال عبادة لهم والتعظيم عبادة لهم كما ان النحر للنسك واخراج صدقة المال والخضوع والاستكانة عبادة لله عزوجل بلا خلاف، ومن زعم ان ثم فرقا بين الامرين فليهده الينا ، ومن قال انه لم يقصد بدعاء الاموات والنحر لهم والنذر عليهم عبادتهم فقل له :فلاي مقتض صنعت هذا الصنع؟ فان دعاءك للميت عند نزول أمر بك لا يكون الا لشيء في قلبك عبر عنه لسانك، فان كنت تهذي بذكر الاموات عند عروض الحاجات من دون اعتقاد منك لهم فانت مصاب بعقلك وهكذا ان كنت تنحر لله وتنذر لله فلاي معنى جعلت ذلك للميت وحملته الى قبره فان الفقراء على ظهر البسيطة في كل بقعة من بقاع الارض وفعلك وانت عاقل لا يكون الا لمقصد قد قصدته أوامر قد أردته والا فانت مجنون قد رفع عنك القلم ولا نوافقك على دعوى الجنون الا بعد صدور أفعالك وأقوالك في غير هذا على نمط افعال المجانين ، فان كنت تصدرها مصدر افعال العقلاء فانت تكذب على نفسك في دعواك الجنون فى هذا الفعل بخصوصه فرارا عن ان يلزمك مالزم عباد الاوثان الذين حكى الله عنهم في كتابه العزيز ماحكاه بقوله (وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا) وبقوله (ويجعلون لمالا يعلمون نصيبا مما رزقناهم ، تالله لتسألن عما كنتم تفترون)

(فان قلت) ان المشركين كانوا لا يقرون بكلمة التوحيد وهؤلاء المعتقدون في الاموات يقرون بها (قلت) هؤلاء انما قالوها بألسنتهم وخالفوها بافعالهم فان من استغاث بالاموات أو طلب منهم مالا يقدر عليه الا الله سبحانه ، أو عظمهم ، أو نذر عليهم بجزء من ماله او نحر لهم فقد نزلهم منزلة الآلهة التي كان المشركون يفعلون لها هذه الافعال فهو لم يعتقد معنى لا اله الا الله ولا عمل به بل خالفها اعتقادا وعملا فهو في قوله لا اله الا الله كاذب على نفسه ، فانه قد جعل الهاً غير الله يعتقد انه يضر وينفع وعبده بدعائه عند الشدائد والاستغاثة به عند الحاجة وبخضوعه له وتعظيمه اياه ونحر له النحائر وقرب اليه نفائس الاموال ، وليس مجرد قول لااله الا الله من دون عمل بمعناها مثبتا للاسلام فانه لو قالها أحد من أهل الجاهلية وعكف على صنمه يعبده لم يكن ذلك اسلاماً

(فان قلت) قد أخرج احمد بن حنبل والشافعي في مسنديهما من حديث عبد الله بن عدي بن الخيار ان رجلا من الانصار حدثه انه أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو في مجلسه فساره ليستأذنه في قتل رجل من المنافقين فجهر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال « أليس يشهد ان لا اله الا الله؟ » قال الانصاري بلى يارسول الله ولا شهادة له قال « أليس يشهد ان محمدا رسول الله؟ » قال بلى ولكن لاشهادة له قال « أليس يصلي؟ » قال بلى ولا صلاة له قال « أولئك الذين نهاني الله عن قتلهم » وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد في قصة الرجل الذي قال يارسول الله صلى الله عليه وسلم اتق الله وفيه فقال خالد ابن الوليد رضي الله عنه يارسول الله ألا اضرب عنقه ؟ فقال « لا ، لعله ان يكون يصلي » فقال خالد : كم من مصل يقول بلسانه ماليس في قلبه فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « اني لم أومر ان انقب عن قلوب الناس ولا اشق قلوبهم » ومنه قوله صلى الله عليه وآله وسلم لاسامة بن زيد رضي الله عنه لما قتل رجلا من الكفار بعد ان قال لااله الا الله فقال له صلى الله عليه وآله وسلم « فما تصنع بلا اله الا الله » فقال يارسول الله انما قالها تقية فقال « هل شققت عن قلبه » هذا معنى الحديث وهو في الصحيح

(قلت) لاشك ان من قال لااله الا الله ولم يتبين من أفعاله مايخالف معنى التوحيد فهو مسلم محقون الدم والمال اذا جاء باركان الاسلام المذكورة في حديث « أمرت ان أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله ويقيموا الصلاة